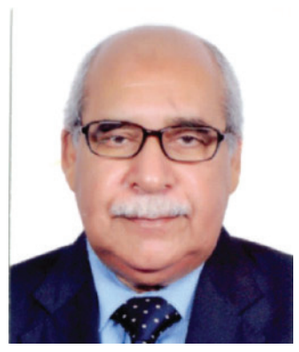
الإسلام.. يسر لا عسر فيه



بقلم:
عبدالرحمن علي البنفلاح

يقول تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» البقرة: 185.

هذه الآية الجليلة تؤسس في إحكام للعلاقة بين المسلم والتكاليف الشرعية التي يأمرنا الله تعالى بها، والنواهي التي ينهانا سبحانه عنها ومجيء هذه الآية من سورة البقرة تحدد لنا الغاية التي من أجلها نزل القرآن، تقول الآية: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان».. وهي آية عظيمة القدر سامية المكانة، وأن هذا الكتاب المعجزة القرآن الكريم نزل فيها لينقذ الناس من الضلالة إلى الهداية، ومن الشك إلى اليقين، فمن أقبل عليها وقبل بهداياتها أعانه الله تعالى على الطاعة وحماه من المعصية. ومعلوم أن الخطاب في هذه الآية إلى الناس أي جميع الناس لا فرق بين مؤمن وغير مؤمن بمعالم الهداية، فهم في الهداية سواء وليسوا كذلك في المعونة والتمكين.

إن الحق سبحانه الذي جاء به القرآن ووضحت فيه معالم الهداية والإسلام بهذا المعنى ليس مضطرا إلى حمل الناس على أن يدخلوا فيه عنوة أو غصبا، فلهم إن شاؤوا دخلوا فيه طواعية، وإن أبوا فلهم ذلك ولا تثريب عليهم، والدليل على أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف كما زعم خصومه، بل بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والدليل على ذلك وجود الكثير من المسيحيين وغيرهم من القوميات وأصحاب الديانات الأخرى، بل منهم من تولى مناصب مهمة في الدولة الإسلامية وأسهموا في حمايتها، والذود عن حولنا.

ولم يشكك أحد في ولائهم. ولقد جاء اليسر معرفا بأل التعريف ليكون لفظا جامعا مانعا لا يستطيع خصوم الإسلام أن يشغبوا عليه أو يثيروا حوله الشكوك أو الشائعات ونستطيع أن نضع عنوانا لليسر يجمع ما تفرقة في آيات كثيرة عن اليسر فنسمي هذه الآية، بآية اليسر.

اليسر إرادة إلهية ينعم فيها المؤمن غير المؤمن بوارف ظلها وعظيم عطائها، ونستطيع أن نضرب على عطاء هذه الآية وتحققها ببعض الأمثلة، فالمؤمن المكلف حين تواجهه عقبة أو يصعب عليه أمر التكليف يجد من الله تعالى معونة على أداء هذه التكاليف، فالصلاة مثلا التي كلف الله تعالى عباده خمس صلوات في اليوم والليلة يؤديها المسلم بكامل شروطها وهيئاتها، فإذا تغيرت أحوال العبد من الصحة إلى المرض، ومن الإقامة إلى السفر، فإن الله تعالى يخفف عليه هذه التكاليف، فيصلي واقفا إن استطاع أو قاعدا أو على جنبه أو على ظهره، أو أن يخطر أعمال الصلاة على قلبه فإذا سافر المسلم فله أن يصلي الصلاة الرباعية اثنتين، وله أن يجمع جمع تقديم أو جمع تأخير، كما له أن يفطر في سفره، فإذا رجع من سفره قضى ما أفطر من أيام .

والمرأة في حيضها ونفاسها عليها أن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة تخفيفا عليها. وفي الطعام والشراب هناك المباحات والمحرمات، فإذا عز على المسلم الطعام الحلال الطيب فقد أباح له الشرع الحكيم أكل شيء من الطعام المحرم حفاظا على حياته، يقول تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون (172) إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم (173)» سورة البقرة. ولنتأمل قوله تعالى: «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من ورسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير».

وقوله تعالى: «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» البقرة: 286.

ولذلك عندما نزل قوله سبحانه: «لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» البقرة: 283. فشق ذلك على المسلمين، فلما شكوا ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لهم: لا تقولوا كما قالت بنو إسرائيل: سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا، فلما قالوا ذلك نزل قوله تعالى «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» البقرة: 285.

ذلكم هو الإسلام الذي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل البشر والعالمين مبشرا به.

ذلكم هو الإسلام.. وذلكم هو يسره في المنشط والمكره وهو يسر لا عسر.

الجوانب الإنسانية والأخلاقية في قصة نوح عليه السلام



بقلم:
د. زكريا الخنجي

عدد من الروايات التي تتناول قصة سيدنا نوح عليه السلام تناولتها بشكلها التقليدي، فركزت على الطوفان وحده، والأحداث التي كانت تدور حول هذا الحدث الكوني الهائل، فيتوارى في تلك الحكايات الإنسان الذي عاش الحدث. غير أن القرآن الكريم يعرض قصة نوح عليه السلام عرضًا يتجاوز الحدث إلى صاحبه؛ إنسانًا يدعو قومه قرونًا من الزمن، ويحاورهم، ويسمع سخريتهم، ويشكو إلى ربه، ويبني سفينته، ويفقد ابنه، ثم يتعلم من هذا الفقد. تتكرر هذه القصة في مواضع عدة، منها سورة الأعراف وهود ويونس والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والقمر، وتنفرد بها سورة كاملة تحمل اسمه عليه السلام.

وينبغي التنبيه إلى أن المفاهيم النفسية والاجتماعية الحديثة ليست محاولة لإخضاع النص القرآني لنظريات متغيرة، بل هي أدوات وصفية تُعين على تقريب الدلالة، مع التسليم بأن النص يتجاوز هذه الأدوات. لنفهم ما ورد في القرآن الكريم حول هذا الإنسان وذلك الحدث.

أولاً: الصبر الطويل؛ الزمن بوصفه امتحانًا

يقرر القرآن أن نوحًا عليه السلام لبث في قومه (ألف سنة إلا خمسين عامًا)، وأيًا كان تأويل هذه المدة، فدلالتها الإنسانية ظاهرة؛ دعوة مستمرة عبر أجيال لا تكاد تؤتي ثمارها. وتسجّل سورة نوح تنوّع أساليبه؛ فقد دعا ليلاً ونهارًا، ثم جهارًا، ثم أعلن وأسرّ، أي أنه جرّب الخطاب العام والخاص، فلم يكتفِ بأسلوب واحد حين لم ينجح.

ويقابل ذلك رد فعل قومه الذي تصفه السورة وصفًا حسيًا دقيقًا (جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا) سورة نوح – الآية 7، وهنا تتجلى ظاهرة معروفة في علم النفس الاجتماعي، هي مقاومة المعلومة الحقيقية المهددة للهوية؛ فالرفض لا يكون دائمًا عن نقص في الحجة، بل عن خوف من تبعات التصديق.

أما نوح عليه السلام فيظهر في هذا المقام نموذجًا عاليا للصمود النفسي؛ لا بمعنى انتفاء الحزن، بل بمعنى القدرة على مواصلة المعنى مع وجود الألم. ويتلقى في الوقت نفسه تثبيتًا إلهيًا وذلك في قوله تعالى: «فلا تبتئس بما كانوا يفعلون»، وهو خطاب يعترف ضمنًا بأن الابتئاس شعور بشري طبيعي في مثل هذا الموقف.

ولا تعرض القصة نوحًا عليه السلام خطيبًا أحادي الاتجاه، بل محاورًا، ليس ذلك فحسب وإنما وقد بلغ من كثرة حواره أن خصومه أنفسهم قالوا: (قد جادلتنا فأكثرت جدالنا)، وهو اعتراف بالمثابرة الحوارية من أشد المعارضين.

ثانيًا: الألم النفسي؛ السخرية والشكوى والانتصار

يصور القرآن نوحًا عليه السلام وهو يصنع الفلك، وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه، فيجيب: (إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون)، وفي الموقف مفارقة بليغة: يُسخر من الرجل الذي يبني سفينة في الأرض اليابسة، لأن أفق السخرية محدود بما يراه الناظر الآن، بينما يرى هو عليه السلام ما لا يرونه، وهذا يلامس ظاهرة الإنسان الذي يعمل لمستقبل لا يؤمن به محيطه.

وتتكرر في القرآن عبارات الشكوى الصريحة: (رب إن قومي كذبون) وغيرها من آيات، وفي هذه الآيات اعتراف مباشر بالضعف، لكنه ضعف يتحول إلى دعاء. وهنا تقترب القصة مما ذهب إليه فيكتور فرانكل من أن الإنسان قادر على احتمال المعاناة متى وجد لها معنى؛ إذ لا يُقدَّم الألم في القصة على أنه عيب في الإيمان، بل على أنه جزء من طريقه، ويلاحظ أن القرآن لا يستنكر هذه الشكوى ولا يعيب عليها، بل يسجلها ويستجيب لها، فتصبح الشكوى الصادقة إلى الله شكلاً من أشكال الصلة به لا نقيضًا لها.

ثالثًا: النبي الأب، ومأساة الأبوة

يمثل مشهد ابن نوح عليه السلام أعمق المواضع الإنسانية في القصة، فبينما تجري السفينة في موج كالجبال، ينادي نوح ابنه الذي كان في معزل: (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين)، فيجيب الابن: (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء)، فيرد الأب عليه السلام: (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم)، وفي لحظة وبإرادة الله سبحانه يرتفع الموج ويختفي الولد ويكون من المغرقين.

ويتجه نوح عليه السلام الأب بعد ذلك إلى ربه: (رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين)، ولكن والجواب الإلهي يحمل ثلاث دلالات فلسفية:

1. إعادة تعريف القرابة؛ يقول الله تعالى: (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح)، فالأهلية هنا ليست رابطة دم فحسب، بل رابطة قيم واختيار. وهذا تحول جوهري من تصور الانتماء بالنسب إلى تصور الانتماء بالموقف الأخلاقي.

2. المسؤولية الفردية؛ تؤكد القصة أن النجاة لا تُورَّث؛ فلا النبوة تحمي الابن، ولا الزوجة، كما في قوله تعالى عن امرأة نوح وامرأة لوط، وتتسق هذه الفكرة مع القاعدة القرآنية (ولا تزر وازرة وزر أخرى). وللابن اختيار حر يتجلى في وهم الاكتفاء الذاتي؛ جبل يعصمه من الماء، أي اعتماد على القوة الطبيعية في مواجهة ما يفوقها.

3. التربية الإلهية لمشاعر النبي؛ يخاطبه ربه: (إني أعظك أن تكون من الجاهلين)، فيعود نوح عليه معترفًا: (رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين)، وقد اختلف المفسرون في توصيف ما صدر عن نوح عليه السلام هنا، ولكنهم متفقون على أن الموقف يعالج انفعال الأبوة حين يزاحم ميزان الحكم. وما يلفت النظر أن القرآن لا يحجب هذا المشهد ولا يخفف من بشريته؛ فالحب الأبوي حقيقي، وألم الفقد حقيقي، والتصحيح الإلهي رحيم لا قاس.

وهنا يلتقي النص مع سؤال فلسفي عميق: كيف يتوازن الواجب الأخلاقي مع الرابطة العاطفية؟ تجيب القصة بأن العاطفة مشروعة، لكنها لا تصلح أن تكون ميزانًا للحقيقة، وأن العلاقة الحقة بالآخر تقوم على المسؤولية عنه لا على مجرد التعلق به، وهي فكرة تذكّر بما كتبه إيمانويل ليفيناس عن المسؤولية تجاه الآخر.

رابعًا: الطوفان والعدل؛ قراءة فلسفية

يطرح الطوفان سؤال العدل الإلهي والعقاب الجماعي، وهو ما تتناوله فلسفة الدين تحت مسمى (الثيوديسيا)، وتقدّم القصة القرآنية جوابًا مشروطًا بسياقه: فالعقاب لم يأتِ إلا بعد مدة دعوة طويلة وحوار مستفيض، وبعد أن أُخبر نوح بأنه (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن)، ودعاؤه عليه السلام عليهم في سورة نوح معلَّل بقوله: (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا)، أي أن الحكم مبني على استقراء طويل لا على انفعال عابر.

كذلك تُظهر السفينة مجتمعًا أخلاقيًا مصغرًا، يتحدد انتماؤه بالإيمان والعمل لا بالنسب، وتبدأ حركته (بسم الله مجراها ومرساها)، وفي هذا المعنى يرى مفكرون مثل توشيهيكو إيزوتسو وفضل الرحمن أن البنية الأخلاقية للقرآن تجعل العلاقة بين الفعل الإنساني والجزاء علاقة مبدئية لا اعتباطية.

ختامًا، ولكن على الرغم من ذلك تنتهي القصة بحكاية أمل جديد للبشرية، فبعدما ينتهي الطوفان وتبلع الأرض كل المياه التي غطت الكرة الأرضية تبدأ البشرية من الظهور من جديد، وهذا ما جعل بعض الدارسين يصفون نوحًا عليه السلام بأنه أب ثانٍ للبشرية، من دون أن يكون في النص ما يقتضي تحويل هذا الوصف إلى عقيدة.

أما الوصف الذي يختم به القرآن سيرته الأخلاقية فهو قوله تعالى: (إنه كان عبدًا شكورًا)، ولعل في اختيار (الشكور) دلالة على أن ذروة إنسانيته ليست في قدرته على التحمل وحدها، بل في قدرته على الامتنان بعد أن مرّ بما مرّ به من فقد وتعب وخذلان.

قصة سيدنا نوح عليه السلام لم تنته، ربما سنعود لنحكيها ذات يوم.

Zkhunji@hotmail.com

عالم يتغير



ترامب وسؤال الموت الأصعب!

فوزية رشيد

○ أجرى الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب» مقابلة تلفزيونية في برنامج (60 دقيقة) على قناة CBS عقب انتخابات التجديد النصفي، تناول فيها قضايا مختلفة، منها ما يتعلق بعدم مسامحة خصومه السياسيين وإقراره بقسوة بعض سياسات الهجرة، كما تناول الردّ على سؤال حول تداعيات خسارة حزبه في هذه الانتخابات النصفية، وموقف إدارته من الحرب على إيران وملفات إقليمية متصلة، وحول تقنيات الذكاء الاصطناعي، حتى جاء سؤال لم يكن متوقعاً بالطريقة التي طرحه فيها المذيع وهو السؤال الأصعب عموماً على الجميع، ولكنه السؤال الكارثي أو الكابوسي على الأشرار في العالم! وعلى من ظلموا وتجبروا وقتلوا وأفسدوا في الأرض، وعلى القارئ أن يحدد بنفسه أين يقع ترامب بين أولئك أم أنه من الأخيار؟!

○ حين طرح المذيع السؤال أراد «ترامب» التعامل معه على أنه سؤال عادي! ولكن المذيع أصر على أن يُعطي السؤال ثقله الحقيقي، وما يحمله من أبعاد عميقة! تغيرّت معه بعد بُرهه ملامح النرجسية والصوت الواثق ونبرة الغرور والعنجهية المعتادة إلى انخفاض الصوت وامتلائه بالتمني والرجاء! وكأن السؤال أسقط فجأة كل الأصباغ الملونة على وجه ترامب لتُظهر ظلام الرعب الدفين في قلبه، حتى وإن حاول الاستكبار عليه! ببساطة هو القلق الخفيّ الذي يسكن حتماً قلوب الأشرار حين يواجههم سؤال الموت! وهنا الصورة كما جاءت في اللقاء:

المذيع:

○ لنتحدث عن الموت! لقد نجوت من عدة محاولات وإحداها اقتربت منك كثيراً... أتخيل أن ذلك أثر بشكل ما في نظرتك إلى الموت... ماذا تظن أنه يحدث عندما تموت؟!

اعتقد ترامب أنه سؤال عادي فقال وهو يتضاحك:

– حسنا آمل أن يفتقدني الناس!

المذيع يقاطعه «أقصد...» ولكن «ترامب» يصر على إجابته:

– أمل أن يفتقدني الناس... لقد قمت بعمل جديد!

المذيع يرمي بالسؤال مجدداً في وجهه:

– ما أقصده هو ماذا سيحدث لدونالد ترامب حين يموت؟!

ترامب يريد تكرار ذات إجابته السابقة «حسناً مرة أخرى أقول...» فيقاطعه المذيع بصراحة هادئة:

– لا أتحدث عن ذكراك عند الناس بل أنت نفسك!

ترامب يبدو عليه شيء من الارتباك:

– تقصد إلى أين أذهب؟! – بعد الموت طبعاً –.

المذيع:

– بالضبط!

ترامب يدخل محاورا في السؤال فيرّد وقد لبس وجه المتواضع البريء:

– حسنا... أنا شخص متدين! لذلك نظرياً أذهب إلى الجنة!

المذيع وكأنه يكبت دهشته من ثقة ترامب بمصيره بعد الموت.

فيسأله بسخرية:

– هل تظن أنك ذاهب إلى الجنة؟!

ترامب يربكه مجدداً السؤال فيرد:

– آمل ذلك! لا أريد أن أذهب إلى الجحيم!

○ من المؤكد أن لا أحد يريد أن يذهب إلى الجحيم! ولكنا ذلك لا صلة له بالتمني أو الأمل، لأن القبر هو صندوق العمل، الذي معه يتضح بعد الموت أي مصير يلقاه صاحبه جنة أو جحيماً!

عادة حين أتابع حجم الشرور والفساد والغرور في العالم، وهي مقابلة أخذت العديد من العقود، كنت أتساءل دوماً وبدهشة:

– ماذا ينقص هؤلاء وهم «يملكون كل هذه الثروات ويملكون السلطة والنفوذ لكي يتحولوا إلى جبابرة وظالمين ووحوش هكذا؟! ألا يفكر هؤلاء بالموت الذي هو نهاية رحلتهم في الدنيا وربما يأتيهم بغته؟! ماذا ينفع الإنسان إن ربح العالم وخسر نفسه؟! وبالطبع الإجابة لا تزال ضائعة!

○ ها هو «ترامب» كأهم تجسيد للحالة، والذي لا يمل من كثرة تكرار أنه الأعظم وأنه الأذكى وأنه... كرئيس يتحكم في أضخم ترسانة عسكرية ونووية واقتصادية على وجه الأرض، ومع ذلك يرتد في داخله فجأة ليشعر بحجمه الحقيقي في ميزان الموت، وأمام قدرة الله «ملك الملوك»، الذي بيده مصير كل شيء! ها هو يرتبك أمام سؤال المذيع الذي لم يتوقع أن يُحوّل حادثة الرصاصة التي مرت قرب أذنه، وكادت أن تودي بحياته إلى سؤال كابوسي حول أين سيذهب بعد أن يموت؟! ليدرك «ترامب» الذي ملأ العالم بنرجسيته أنه أمام سؤال الموت والمصير الذي يليه، ترتبك كل الإجابات حتى تلك التي تعتقد أنها قوية أمام أي شيء! وهو يدرك في داخله أن قوته مستمدة من تجاهله أو تناسبه لما يفعل في الدنيا، خاصة أن فطرته الكامنة تدرك أن الله هو المتحكم في كل شيء، وأن هناك عقابا وحسابا وثوابا وإما جنة أو نار، حتى لدى من يُنكر ذلك! وحتى لدى الملحدين الذين أثبتت تجارب علمية أن بداخلهم خوف من الله ما أن يتم ذكر اسم الله، وهو في حالة أقرب إلى التنويم المغناطيسي!

○ أين ذهب كل الأباطرة وكل الجبابرة وكل القساة والملحدين والظالمين والفاسدين والمصابين بانتفاخات الغرور ومهرجانات المظاهر والشكليات؟! حتماً هناك عدالة بمقاييس إلهية لا تخطئ ولا تظلم، أما هؤلاء الذين يعيشون في غفلة الدنيا وسكرة السلطان والنفوذ والشهرة والسيطرة والأضواء!

كل هؤلاء يعلمون في دواخلهم أن القصة لا تنتهي بالموت، وأن جرداً دقيقاً ينتظرهم! وأن صوت الأطفال والنساء والأبرياء الذين تم قتلهم بأبشع الطرق في الحروب المتتالية، ستبقى تؤرق آخرتهم وإن تجاهلوها في دنياهم متاع الغرور! وما يظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون!

الحزب الديمقراطي ومأزق العلاقة مع إسرائيل



بقلم:
د. منار الشوربجي

فوز الديمقراطيين بالأغلبية في مجلسي الكونجرس صحيفة إدانة شعبية لسياسات ترامب وليس دعما لسياسات الديمقراطيين. فهدف الناخبين كان طرد حزب ترامب من مواقع الحكم لا تفويضا للديمقراطيين. فحين يكون الفساد على رأس مصادر الغضب الشعبي يختلط الداخلي بالخارجي. فالغضب من العلاقة الوثيقة بإسرائيل، الذي بدأ مع حرب الإبادة بغزة، بلور إدراكا عاما بأن الأموال الطائلة التي ينفقها أنصار إسرائيل على الحملات الانتخابية كانت وراء دعم ترامب وحزبه بل وأغلبية الديمقراطيين لحرب الإبادة، ثم جر بلادهم جرا لحرب إيران.

ولعل أهم ما أسفرت عنه الانتخابات أن كشفت بوضوح عن أن الزمن الذي كان فيه انتقاد إسرائيل انتحارا سياسيا للسياسيين الأمريكيين قد ولّى. ليس هذا فقط، وإنما بات الارتباط بلوبي إسرائيل عبئا سياسيا يتجنبه المرشحون أو يخفونه عن أعين الناخبين! بعبارة أخرى، لم يعد الرأي العام الأمريكي يوفر الغطاء السياسي الذي يحتاج إليه السياسيون الموالون لإسرائيل. وهو غطاء سياسي لم يعد حتى اليهود الأمريكيون أنفسهم يوفرونه للوبي إسرائيل الذي يزعم التحدث باسمهم! فقد تبين أن 66% من يهود أمريكا يعتبرون الدعم اللامشروط لإسرائيل خطرا عليهم، وأموال اللوبي مسؤولة عن تزايد معدلات العداء للسامية.

ويحسن أن نتذكر أن الكونجرس المنتخب توا سيحلف اليمين في يناير القادم بينما الذي سيحكم أمريكا حتى يناير القادم هو الكونجرس الذي انهزم! بعبارة أخرى، فإن الكونجرس ذا الأغلبية الجمهورية الذي انتخب عام 2024 هو الذي سيقوم بالتشريع طوال الأشهر المتبقية من العام الحالي. ومن هنا، يصبح تصريح ترامب بأن بلاده ستتوقف عن تقديم المساعدات العسكرية لإسرائيل بنهاية العام الحالي دقيقا. فهو ما تم الاتفاق عليه مع نتنياهو منذ شهور. والحكاية لا علاقة لها بعبدالرحمن السيد الذي انتخب لمجلس الشيوخ، كما زعم ترامب.

فالقصة باختصار أن إسرائيل أدركت أن التحول الراديكالي في الرأي العام الأمريكي سيضع مستقبلا عقبات كؤودا في وجه استمرار تلك المساعدات.

ومن ثم، وبإيعاز من نتنياهو، أضيف لمشروع قانون وزارة الدفاع الأمريكي للعام المالي القادم بندا يتم بمقتضاه توجيه دفة العلاقة العسكرية بالولايات المتحدة بعيدا عن رقابة الكونجرس وأعين الرأي العام عبر أن تكون برمتها داخل المؤسسة التنفيذية. فمشروع القانون يقوم على الدمج الهيكلي بين المؤسستين العسكريتين، أي تعميق نطاق التعاون والتنسيق في مجالات التسليح والبحوث العسكرية والتكنولوجيا الاستخباراتية والعسكرية وشبكات تبادل المعلومات.

بعبارة أخرى، ينزع مشروع القانون عن أمريكا بعض ملامح سيادتها ويسلمها لإسرائيل عبر السماح للأخيرة بالحصول على ما تريد من المنبع بدلا من الخضوع لموافقة سنوية من الكونجرس بمجلسيه! ليس ذلك فقط، فرغم أن حرب إيران كانت من أهم أسباب طرد الجمهوريين من مقاعد الأغلبية في المجلسين، فإن وصلت ميزانية وزارة الدفاع في مشروع القانون نفسه إلى 1.5 تريليون دولار وهي الميزانية التي تمول تلك الحرب وغيرها.

وبينما كان بناء مراكز الذكاء الصناعي سببا رئيسيا للغضب الشعبي، يمنح المشروع 58.5 مليار دولار لتطوير الذكاء الصناعي في المجال العسكري. والمشروع وافق عليه مجلس النواب بينما لا يزال قيد العرض على مجلس الشيوخ.

ومن هنا، ستكون مواقف الديمقراطيين عند مناقشة الأخير للمشروع الامتحان الأول لهم. فهناك فارق بين ذلك الانقلاب في الرأي العام وبين سياسيين، وخصوصا قيادات الديمقراطيين، احتفظوا بمقاعدهم في الكونجرس الجديد بعد أن ظلوا عقودا في خانة إسرائيل. فهؤلاء لم يعارضوا إبادة غزة ولا قصف إيران وسيمثلون، لاحقا، كعب أخيل الذي يعطل الإرادة الشعبية.